



الرية وسكت هنية ثم قال : « هل كتبت في هذه الأيام إلى السيدة الوالدة ؟ »

قال أخوه : « لا . قد انقطعت المواصلات بين (جينان) و (تسينغ تاو) (١) منذ أيام كما علت فلا يمكن أن يصل إليها الخطاب لو بعثت به . »

— « إذا لم يصلها خطاب منا فلا محالة يشتد اضطرابها . ولا أمل في الدراسة هذا العام مع هذه الحالة ، فإن استطعت أن تعود إلى البلد مبكراً فعلت . إن السيدة الوالدة بعد وفاة السيد الوالد في حاجة إلى من يعولها ، وبكفي أن يتطوع أحدنا للدفاع » ولما سكت تأمل فيه أخوه شاكا في أمره .

وقد أكثر من الكلام ، وبعد أن دار في الغرفة دورتين جلس إلى مكتبه فأخذ كتابا ينظر فيه كأنه يطالع .

قد تابعت في ضواحي المدينة أصوات المدافع وارتفعت الصيحات داخل المدينة .

تذكر فجأة أمراً ما فوضع الكتاب على المكتب ورمو أخاه حزينا كثيراً يقول : « شائع سين ! »

« مالك يا هوتغ سين ؟ »

قال لأخيه بكل لطف : « إذهب إلى الآنسة « لوس » لعلها هي وأمها في حال سيئة من الذعر » فأوما أخوه برأسه أن سمعاً وطاعة .

وبعد خمس دقائق جلجلت أصوات المدافع تتخللها فترار قنار ، فقام أخوه بقصد الباب فصاحه قائلاً : « يا أخي ! وقد خالف في ندائه هذا عادته فإنه كان دائماً يدعو أخاه باسمه فتلا بصره يبصر أخيه ثم قال : « إلى اللقاء ! »

على سور (جينان) (١)

للطبيب الصيني السرير (بانغ مينغ سينغ)
ترجمة محمد مكين الصيني

لما رجع (هوتغ سين) إلى المنزل قال لأخيه : « هل سمعت أن اليابانيين يريدون أن يحتلوا مدينة (جينان) ؟ »
فأخذ أخوه يشك في وفاء جنود الصين وقال : « ألم يقاومهم جنودنا ؟ »

قال وهو يريد أن ينوه بكرامة جنود الصين وإخلاصهم : « بلى ! »
فجعل أخوه يرتاب في كفايتهم قائلاً : « هل في المدينة قوة كافية ؟ »

قال : « لا بد أن تسقط المدينة في أيدي اليابانيين عاجلاً أو آجلاً ! ولكن الواجب علينا أن ندافع عنها بأذلين أقصى جهدنا ، فإن خضعت لهم في آخر الأمر قوتنا فلن نخضع لهم روحنا . » ثم رفع رأسه وأصلح يده شعره .

فطلق أخوه يرتاب في توازن القوتين المتحاربتين قائلاً : « بلغني أنه قد وصل إلى (جينان) خمسة آلاف من جنود اليابان . »

قال ، وهو يتمشى في الغرفة : « اسمع ! قد شرع اليابانيون يطلقون المدافع ! لا يتوقف الاتصار على كثرة الجنود ، فإذا اشتدت حمية قومنا وتطوع نصفهم للدفاع فلا تخش سوء الماقبة ولو ... »
ثم توقف عن الكلام لأن قلم الرصاص الذي في يده أخيه انكسر ونشأ عن ذلك فرقة صغيرة ، ووقف ينظر إلى أخيه بعين

(١) (جينان) حاضرة مقاطعة (شانتونغ) شنت فيها حرب بين الصين واليابان سنة ١٩٢٨ إذ تهدمت جيوش الحكومة الحاضرة نمر بكين وحاولت اليابان منع تقدمها ثم عقدت الهدنة

(١) (تسينغ تاو) ميناء في جنوب (شانتونغ) بينها وبين (جينان) سكة الحديد.

الأرض بندقية وسلب إحدى الجثث كنانة الرصاص ثم أخذ يصعد على السور ، وما كاد ينتهي إلى شرفاته حتى تدرجت جثة من فوق السور عثر فيها ثم نهض من عثرته على الفور ، ولما انتهى إلى الشرفات التفت بمنة ويسرة فوجد مسافة نيف وخمسين متراً خالية من حراسة الجند ، ثم أخرج رأسه من بين شرفتين ليعرف حالة العدو ، فطار نحوه الرصاص ومر بجانب أذنه ، فانسحب سريعاً وانتقل إلى ما بين الشرفتين الخامسة والسادسة من يساره ، وأخرج رأسه مرة أخرى فرأى بأشعة القمر بضعة عشر جندياً يابانياً يحاولون تسلق السور من هذا المكان الخالي من الحراسة ، بعضهم على أكتاف بعض ، فسوب بندقته إلى أحدهم في الطبقة السفلى وأطلق عليه رصاصة فأصابته بالمصادفة فأهارت الطبقة السفلى وتدرج الذين فوقها إلى الخندق كلهم أجمعون .

ولكن بعد هنية اجتمعوا عند السور مرة أخرى فأطلق عليهم رصاصتين فأصاب أحدهما وأخطأ الآخر ، وبينما هو في اضطراب وغضب إذا برجل يناديه من وراء ظهره : « من أنت يا رجل ؟ » أجابه (هونغ سين) بدون تردد ولا تردد : « من عساكر الخفية . »

ولما التفت إلى خلفه وجد بضعة عشر جندياً قد أتوا إلى النقطة التي يدافع عنها وحده فدهم على اليابانيين تحت السور ، فأطلقوا عليهم وابلاً من الرصاص فأصابوا شذمة منهم وتوارى الباقون في حقول القمح بجانب السور ، ولما لم يحسوا بحركتهم ظنوا أنهم قد فروا من وجوههم ، فأخرجوا مطمئين رءوسهم من خلال الشرفات ، وإنهم لكذلك إذا بنار ثلاث أممهم عن بعد ، وإذا بقنبلة طارت نحوهم فذهبت بإحدى الشرفات وتطايرت شظايا القنبلة في كل صوب ، ومات عقب انفجارها أكثر المدافعين عن السور ؛ فانسحب الباقون إلى نقطة أخرى بعيدة عن مسقط القنبلة ثم جاءت قنبلة أخرى لم تصب شيئاً . وبعد بضع دقائق اقترب بضعة عشر جندياً يابانياً من السور فأطلق عليهم وابلاً من الرصاص فاختلفوا في حقول القمح واستمروا على الكر والفر ، وبعد مدة مات المدافعون عن السور من قتال المدافع ولم يبق منهم إلا جندي واحد مع (هونغ سين) الذي أصيب في ذراعه اليسرى فعمى بمبنديله .

فنظر إليه أخوه نظرة المحزون المغموم وقال : « ألا تخرج الليلة فتكتب خطاباً إلى السيدة الوالدة ؟ » فأشار برأسه أنه سيفعل ، وخرج أخوه ، وكان ذلك بعد الظهر .

وبعد المغرب أخذت أصوات المدافع تتكاثر وتعالى في ضواحي المدينة ، وارتفعت الصيحات بالويلات ؛ ولما كاد الليل ينتصف خفت أصوات المدافع شيئاً فشيئاً وأخذت تقل ، وكان (هونغ سين) يتمشى في غرفته ويظن أن أخاه في منزل الآنسة (لوس) فدعا له بالأمن والسلامة ، ثم فتح خزانة الثياب وأخرج منها ثوباً من ثياب الألعاب الرياضية قلبه ، وشد رباط حذائه ثم أقفل باب المنزل وخرج .

وكان القمر وهو في أيام التربع الثاني ممتعاً لونه معلقاً في جو الشرق يحيط به غيوم فاحمة كأنها تحاول أن تبتله . وكانت الرصاصات وقنايل المدافع تتطاير هنا وهناك ، وأصوات البكاء والمويل تملأ أذنيه .

جعل يمشي في أقرب طريق إلى البوابة الغربية لسور المدينة : ولم يخطئ إلا خطوات قلائل حتى طارت قنبلة من فوق رأسه فوقعت على جدار بعض البيوت فملئت أذناه جلبة وضوضاء من هدم الجدران بعقبه أصوات الفزع والصراخ والبكاء ؛ ثم عاد الجو بعد هنية إلى ما كان عليه من سكون وهدوء .

ولما اجتاز عدة شوارع رأى بيتاً تشتمل فيه النيران اشتعالاً مائلاً ، ورأى جماعة من الرجال والنساء ، منهم من يحمل على ظهره مه القانية ، ومنهم من يقود أباه المهرم ، ومنهم من تحمل على ذراعها ضيعها ، وهم يهيمون على وجوههم في الشوارع باكين صارخين لا يدرون إلى أين يلتجئون . وبيناهم كذلك إذا بقنبلة تسقط بينهم فانفجرت فلي الجو صراخاً وأنياباً : أنين الذين يشرفون على الموت الزؤام ، فأغمض عينه ومضى في سبيله قدماً بخطوات راسمة . ثم ارتبكت رجلاه فجاءه ارتباكاً كاد يثر منه ، فنظر إلى لأرض فاذا بجثة سيدة ملقاة على الثرى تبين في نور القمر أن نبله قد ذهبت بإحدى رجلها وتركها غارقة في دماها البريئة ، طفل لم يمض على ولادته حول كامل مكب على صدرها يرضعها ولما بلغ جانب السور رأى نور القمر يسطع من بين الغيوم لسوداء ، وشاهد كثيراً من جثث الجنود مبعثرة على مسند لسور هنا وهناك يئن فيها من لم ترهق نفسه بعد ، فالتقط من

فسأل الجندي فرعاً : « هل يلبس الزى الأزرق الخاص بالطلبة ؟ »

« نعم . »

« أبحر في خطر ؟ » قال هذا وهو فاجر فاه ينتظر جواب صاحبه الذي قال :

« جرح في رقبة اليسرى ، فإذا أتيت له من يسعه أمكن أن يشق ؛ ولكن أنى يكون لنا فراغ لتعتى بجرحه ؟ فتساقط المسكين على الأرض وجعل ينادى : « يا أماء ! » فسأله على سبيل المزاح « يا رجل ! أفتريد أن ترضع أمك ؟ »

فنهض (هوتغ سين) من فوره .

فقال له الجندي : « أريد أن تعود إلى المنزل ؟ »

« لا . بل إلى جهة الجنوب . »

« لا سمع الجرحى ؟ »

« لا سمع شقيقي ؟ » ثم مشى نحو الجنوب .

فقال الجندي : « وأأسفاه ! »

في هذه اللحظة نفسها اشتد هجوم الأعداء في شرق السور الشمالي وتواتت أصوات المدافع وتعلت معمة المدافعين على السور وأصوات البكاء والويل والصراخ داخل المدينة كأن الأعداء قد اقتربوا من جانب السور هناك .

فأدبر (هوتغ سين) ودنا إلى شرقي السور الشمالي ساكناً سامتاً يسمع الجندي يقول : « يا للخطر ! إن عدد المدافعين هناك غير كاف ، وإني لذهاب إلى مساعدتهم . »

رأى الجندي يهض من مكانه فيضع على كتفه بندقيته وعشى نحو الشرق الشمالي .

فناداه (هوتغ سين) : « انتظر ! »

فأقبل الجندي ووجده واقفاً واجماً رانياً إلى شرق السور الشمالي ولا يذهب إلى الجنوب .

فسأله الجندي : « مالك يا أخى ؟ »

فلم يجبه بينت شفة وهو لا يزال واقفاً في مكانه شاخصاً يبصره .

قال الجندي : « أنا ذاهب »

« نذهب معاً »

فهمز (هوتغ سين) رأسه هزة ومسح بكفه مدامعه وأخذ يعدو مع الجندي نحو شرق السور الشمالي الذي اشتدت عليه قتابل المدافع اليابانية . محمد مكين الصيني

أحد أعضاء البعثة الصينية في الأزهر

انفجر الليل واجتمع الأعداء في شرق السور الشمالي وخف الضغط على قاطعتهما فأخرج (هوتغ سين) من جيبه علبة لفائف التبغ وقدمها إلى زميله الجندي قائلاً : « دخن لفافة » ثم جلسا حلف شرفات السور ورأيا مئات من آثار قتابل المدافع على السور وقد اشتعل ضباب الصباح على وحشة واكتئاب قال (هوتغ سين) : « لولا عرقلة اليابانيين لوصلت جيوشنا إلى مدينة (ديجو) : »

وقال الجندي : « بسوء في جداً أنهم أهلكوا الليلة خلقاً كثيراً من إخواننا . » ثم امتص الدخان بقوة .

وعبر (هوتغ سين) عن آماله قائلاً : « لعل عدد الباقين منا يكفي للدفاع عن المدينة يوماً آخر . »

فهمز الجندي رأسه ثم أخرج من جيبه رغيفاً من الخبز وقال لزميله : « أحب أن نتناول شيئاً من هذا ؟ » فهمز (هوتغ سين) رأسه وأخرج لفافة من لفائف التبغ ليسد بها جوفه

دار الجندي بعينه حول وجه (هوتغ سين) وأطرافه وهو يأكل من خبزه ثم قال : « يا أخى ! إنك لا تشبه الجندي في الصورة . »

فسأله (هوتغ سين) مبتسماً : « لا همنى هل أشبه الجندي في الصورة أو لا أشبه . قل لي هل أشبه الجندي في الدفاع ؟ » قال الجندي معجباً به : « نعم . ما رأيت قط جندياً بأسلاً داهية مثلك ! »

ثم شبع الجندي فكثر حديثه فقال : « ألا إن المتطوعين في هذه المرة كثيرون ، وكنا بعد ظهر أمس ندافع في جهة الجنوب فجاء طالب من طلبة المدارس ليساعدنا على الدفاع ، وما كان أشجعهم في القتال ؛ لكنه وأأسفاه لم يكن يدرى كيف يحتق وراء شرفات السور فأصيب بعد قليل بجرح . »

قال (هوتغ سين) : « أكان ذلك بعد ظهر أمس ! »

« نعم . »

« كيف شكاه ؟ »

« أقصر منك بقليل ويشبهك في السحنة غاية الشبه . »

قال ذلك وهو يديم النظر إلى عيني (هوتغ سين) فسقط على الأرض مائتي في يد « هوتغ سين » من لفافة التبغ